AL-SABAH
الصباح الإسلامية
www.alsabahpress.com Alsabah Media
No. 4102 | الأربعاء | 14 ربيع الأول 1443 هـ | 20 أكتوبر 2021 م | السنة الرابعة عشرة

من الأعمال المحببة لرب السموات والأرض

ثمرات بر الوالدين في الدنيا والآخرة

جاء الإسلام لهداية البشرية للصراط المستقيم الذي يوصل البشر لرضوان الله عز وجل، ويوفر لهم حياة طيبة، ولهذا عرفهم بالحقوق، ومن أعظم تلك الحقوق حق الوالدين، ولهذا كثيرًا ما يأمر الله عز وجل بعبادته وطاعته، كما يقرن الله سبحانه الأمر بالإحسان بالوالدين، فهما سبب لوجودك بعد الله عز وجل، فمن حقوقهما عليك الإحسان لهما، قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى، وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى، وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)، قبر الوالدين أعظم بر.

ثمرات بر الوالدين في الدنيا والآخرة

لبر الوالدين عدد من الفوائد والثمرات التي تصيب الإنسان بالدنيا والآخرة، ومن تلك الفوائد السعة وزيادة الرزق والبركة في العمر، فالرسول تحدث لمن أراد أن يبسط برزقه عليه بصلة رحم، والعلماء فسروا كلمة يبسط في رزقه بأقوال عدة منها: أن ذلك يكون بفعل الطاعات وزيادة العمر، والأعمال النافعة للعبد في الحياة وفي الآخرة، كما يوجد تفسير آخر هو أن الملائكة تعلم بعمر العبد، والعبد إذ وصل رحمه زيد له في عمره، وذلك بعلم الله عز وجل، فالزيادة تكون فيما يتعلق بالعبد وليس فيما يتعلق بالقدر، ويوجد علماء فسروا تأخير أجل العبد ببقاء الذكر الطيب والجميل للإنسان بعد وفاته، وإن بر الوالدين من الأعمال المحببة لله عز وجل، كما أن البر من الطرق التي توصل العبد للجنة في الآخرة، وإن بر الوالدين سبب من أسباب رفع ذكر العبد في الحياة الدنيا والآخرة، وسبب من أسباب تفريج الكروب والهموم، وانشراح النفوس والصدور.

بر الوالدين من الأعمال المحببة لرب السموات والأرض، وهو أجل القربات، وأحبها لله تعالى وأزكاها عنده، وإن بر الوالدين من أكبر الأسباب لكسب الثواب والحسنات، وتكفير الذنوب، كما أنه أقرب طريق يُوصلنا لله عز وجل، والفوز برضاه وجنته، كما أن الله ألصق رضا الوالدين برضاه عز وجل، وإن سخطهما من سخطه، وجعل الجنة تحت أقدامهما، كما جعل الوالدين أوسط أبواب الجنة

نماذج وقصص عن بر الوالدين

يُعد بر الوالدين وصية الأنبياء عليهم السلام، فيخاطب سيدنا إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء وأبو الأنبياء والده باللين واللطف والرفق بالرغم من عناده وكفره حين يناديه إبراهيم عليه السلام، «يا أبت»، عندما دعاه لترك الشرك والضلال وعبادة الله الواحد، وعندما أبى وأعرض هدد سيدنا إبراهيم بالطرد والضرب، فكان رد سيدنا إبراهيم جميلاً إذ قال: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، كما أثنى الله عزّ وجَل على سيدنا يحيى بن زكريا ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، إضافةً إلى أن أبا هريرة رضيَ الله عنه إذا كان يود الخروج من منزله يقف على باب والدته فيقول: السلام عليكم يا أماه ورحمة الله وبركاته، فترد عليه السلام، فيقول: رحمك الله يا أمي كما ربيتني صغيرًا، فتقول له: رحمك الله يا بُني كما بررتني كبيرًا، وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في إحدى الليالي طلبت والدته ماءً، فذهب وجاء بالماء، لكنه وجدها نائمة، فوقف بالماء عند رأسها حتى الصباح، فلم يوقظها خوفًا من إزعاجها، ولم يذهب خوفًا من أن تستيقظ وتطلب الماء فلا تجده، وهذا ابن الحسن التميمي عندما رأى عقربًا تدخل في جحر في البيت، أدخل يده وسد الجحر بأصابعه، فلدغته العقرب، فعندما سأل عما فعل قال: خفت أن تخرج فتجيء لأمي فتلدغها، وهذا ابن عون المزني عندما نادته والدته يومًا، أجابها وكان صوته يعلو صوتها فندم على فعلته، وأعتق رقبتين.

ومع عمر بن الخطاب أمير المؤمنين حكاية عندما جاءه رجل يسمى كلابًا، فقد هاجر إلى المدينة بخلافة عمر بن الخطاب، فأقام فيها مدة، وذات يوم لقي عددًا من الصحابة فسألهم عن أفضل الأعمال في الإسلام، فقالوا له الجهاد في سبيل الله، فذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد الغزو، فأرسله عمر إلى جيش في بلاد فارس، فلما علم والده بهذا تعلق به وقال له: «لا تدع أباك وأمك الشيخين الضعيفين فقد ربياك صغيرًا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما؟» فقال: «أتركهما لما هو خير لي»، وخرج كلاب بعد أن أرضى والده، فتأخر وأبطأ في الغزو، وكان أمه وأباه ذات يوم يجلسان في ظل نخل، فإذا بحمامة تدعو فرخها وتلعب وتلهو معه، فشاهدها الشيخ فبكى، وضعف بصره، فلما تأخر ابنه ذهب لعمر بن الخطاب، ودخل المسجد وقال: «والله يا ابن الخطاب لئن لم ترد علي ولدي لأدعون عليك في عرفات»، فكتب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه – برد ولده إليه.

بر الوالدين بعد موتهما

سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن حقوق الوالدين بعد موتهما فذكر خمسة أمور:

– الصلاة عليهما والدعاء لهما: مثل الصلاة عليهما صلاة الجنازة، والترحم والدعاء للوالدين من أفضل أنواع البر في الحياة وبعد الموت.

– الاستغفار لهما: وهو أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لوالديه سيئاتهم، وهذا يُعد من بر الوالدين في الحياة وفي الممات.

– إنفاذ عهدهما: وذلك يكون بتطبيق الوصية التي يوصي بها الوالدين، فمن الواجب على الأبناء إنفاذ عهدهما حسب موافقتها للشرع المطهر.

– إكرام صديقهما: إذ كان للأم أو للأب أقارب وأصدقاء وأحباب فلا بد من زيارتهم والإحسان إليهما، كما يجب تقدير صحبة الوالدين، وذلك يكون بالكلام الطيب وبالإحسان، وكافة أنواع الخير الذي يمكن للشخص تقديمه، فهذا يُعد من بر الوالدين بعد مماتهما.

– صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما: ويكون بالإحسان لأقارب الأب مثل العمات والأعمام، وأقارب الأم مثل الخالات والأخوال، فهذا يُعد من بر الوالدين والإحسان إليهما.

اخلاق الفرد تحدد مكانته في المجتمع

الأخلاق هي مجموعة المبادئ التي تنظم السلوك البشري، كما أن فيها تنظيم لحياة الإنسان لتحقيق الغاية من وجود الإنسان نفسه؛ ففي الإسلام تتميز الأخلاق بطابعها الإلهي؛ أي أنها وحي من الله سبحانه وتعالى، وللإنسان مجهود فيها من الناحية العملية، فالأخلاق نظام حياة يعمل من أجل الخير الذي ينتج سلوكًا وطريقة تعامل مع النفس ومع الله ومع المجتمع، وما يميز هذا النظام أيضًا تكاملية الجوانب النظرية مع الجوانب العملية فيه، وبالتالي يعد جوهرًا في النظام الإسلامي؛ أي أن نظام الإسلام بُني على مبادئ أخلاقية كبقية الرسالات السماوية، إذ قال الرسول –عليه الصلاة والسلام–: (إنما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق)، فأساس بعثة الرسول –عليه الصلاة والسلام– هو إتمام الأخلاق وتقويمها ونبذ مكارهها، وقد ربط رب العزة الإيمان بحسن الخلق لقول رسول الله –عليه الصلاة والسلام– في الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري: [قُلْتُ: يا رسول الله فأيُّ المؤمنينَ أكمَل إيمانًا؟ قال: أحسَنهم خُلقًا]، كما أن الدين الإسلامي عد الإيمان المرتبط بالخلق برًا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾، والرسول –عليه الصلاة والسلام– قال أن البرَ هو حَسَن الخلق في الحديث الذي رواه النواس بن سمعان الأنصاري: [سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ: البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ]، فالبر في الاصطلاح هو اسم جامع لأنواع الخير، وأخيرًا فالأخلاق أيضًا موجودة في العبادة، فأداء العبادات في حقيقتها روح أخلاقية كونها أداء لواجبات إلهية، وفي جانب آخر نجد الأخلاق في المعاملات، وفيها تبدو الأخلاق أكثر وضوحًا.

أخلاق الفرد تحدد مكانته في المجتمع

أخلاق الفرد هي طباعه وسجيته ومروءته التي يمارسها في حياته اليومية، ومنها ما هو حميد أو غير حميد، وعليه فرقي المجتمعات مبني على رقي أفرادها؛ إذ يُنظر إليه بصفته العامة من الأخلاق التي يتصف بها أفراده، وكما ورد في الفقرة السابقة فإن ديننا الحنيف أول من حث على مكارم الأخلاق، إذ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، فجاء الإسلام وربط الأخلاق التي كانت موجودة أصلًا، وركز عليها ووضعها في الإطار الديني، وأثاب من يلتزم بها كونها من أصول العقيدة والأحكام الشرعية، فالأخلاق هي التي تحدد مكانة الفرد في المجتمع، إذ خلق الله البشر بطبعهم المحب لعمل الخير، والمقدر لمن يساعدهم، وعليه فمن يلتزم بالخلق الآتي من عقيدته فإنه بالضرورة سيصبح محبوبًا ومقبولًا في مجتمعه، ومن يتعاون ويتصدق ويقدم الخير، سيأخذ مكانته في المجتمع، وسيتحدث الناس عن أخلاقه ورقيه، كما أن انتشار هذا النوع من الناس سينشر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع كله، فتجد الناس يقبلون على هؤلاء الأشخاص ويتقربون منهم لما يجدون فيهم من حسن الخلق والأمانة والحلم وغيرهم الكثير، وفي المقابل يتجنبون من يتصف بالأخلاق السيئة، إذ يفقد هذا الشخص مكانته في المجتمع ويبدو كأنه وحيد ومنبوذ في مجتمعه؛ لكنه يجد أن أمثاله يتقربون منه، وهو ما يردي مكانته في مجتمعه، فالناس بطبيعتهم يتجنبون الأشخاص غير الصادقين، والمنافقين، والغشاشين، وذلك لأن طبيعة البشر تبحث عن الاستقرار في العلاقات الإنسانية، وتميل لفاعلي الخير ومن يتصف بالاخلاق الحميدة، ويبتعدون عمن يتصف بالاخلاق الرديئة.

المكانة الاجتماعية للفرد

في العلم الحديث يقدر العلماء أن المكانة الاجتماعية تميل لأن تكون ظاهرة اجتماعية اكثر منها بيولوجية، وحسب تعريفهم فإنها ما يُتوقع من الفرد أن يفعل في تصرقاته، وكلما تطابقت هذه التوقعات للسلوك المتوقع للفرد شغل مكانته في المجتمع ولقي القبول فيه، ويفيد العلماء أيضًا أن ثمة عوامل مؤثرة في سلوك الفرد تتفرع إلى مجموعتين هما: الأولى تتضمن الجوانب الوجدانية للفرد (هواياته، وميوله، وعواطفه..الخ)، والجوانب البيولوجية (صحته، وملامحه، وقدرته البدنية..الخ)، والجوانب المعرفية العقلية (معلوماته، ومهاراته، وذكائه..الخ)، والجوانب الاجتماعية المتمثلة في التزامة بدينه وما فيه من أخلاق، أما المجموعة الثانية فتتمثل في موقعه؛ أي بيئته التي يعيش فيها(صحراء، أو مدينة، أو قرية، أو ساحل...الخ)، والأفراد والجماعات التي تشكل هذه البيئة التي يعيشها، وأخيرًا القوانين والأعراف أو التقاليد وما يعيش في ظله الفرد، ويطلب منه مراعاتها؛ إذ سيحكم عليه الآخرو منها.

كيف يكتسب الفرد أحسن الاخلاق

يفيد العلماء أنّ الإنسان يكتسب الأخلاق من عدّة وسائل تعينه على ذلك، وهي ما سيمنحه السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة، وتتضمن:

– التقرب من الله والإيمان الحق به منبع الأخلاق التي أمر بها ديننا الحنيف، فبالإيمان يتهذب السلوك وتعلو النفس.

– الاختيار والمجالسة للأصدقاء، فمن يتخار أصدقاء يتصفون بحسن خلقهم، سيتأثر بأخلاقهم ويحذوا حذوهم.

– المحاسبة الدائمة للنفس؛ إذ إن النفس أمارة بالسوء، وفيها نزاع للشر، فمن يعاتب نفسه ويحاسبها تسمو وترتقي.

– الاقتداء بالسلف الصالح؛ فعندما يقرأ الإنسان عن الصالحين من السلف يتأثر بأخلاقهم ويسير على خطاهم، فمن المعروف في علم النفس والتربية أن القصص والأخبار لها تأثير قوي في التربية.

– الدعاء والتقرب إلى الله من أسباب حسن الخلق، إذ كان رسولنا الكريم وقدوتنا –عليه الصلاة والسلام– يدعو الله أن يهديه حسن الخلق.

نتائج الأخلاق في المجتمع

للأخلاق الحميدة في المجتمعات ثمار طيبة؛ إذ إنها تضبط سلوك الأفراد في مجتمعهم، فصاحب الخلق الكريم يمنع الضرر عن نفسه بالدرجة الأولى، وعن مجتمعه الذي يعيشه بالدرجة الثانية، في حين عندما تدب الأخلاق السيئة في مجتمع ما، ويصاب بالشلل الأخلاقي، فإنه سيفقد فاعليته الاجتماعية، الأمر الذي يؤثر على أفراده، وبالتالي على تقدمه الحضاري في شتى المجالات، ولا بد من الإشارة إلى أن الأخلاق سبب هام للسعادة في الدنيا، فحب الناس لشخص خلوق يسهل له حياته ويبدد له الصعوبات الحياتية التي يعيشها، وبالتالي سينجح وتتحقق له السعادة الدنيوية، والأهم من هذا كله أن الأخلاق والالتزام بها تضع أصحابها في الدرجات العليا في الآخرة، لقوله عليه الصلاة والسلام: [إنّ من أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلسًا يومَ القيامة أحاسنُكم أخلاقًا، وإنّ أبغضَكم إليّ، وأبعدَكم منّي مجلسًا يومَ القيامة الثّرْثارون والمُتشدّقون والمُتفيْهقون. قالوا: يا رسولَ الله قد علمنا الثّرثارين والمُتشدّقين فما المُتفيْهقون؟ قال: المُتكبّرون].